

حضرة سيدنا الشيخ

ناصر الدين عبيد الله الأحرار بن محمود بن شهاب الدين

(الشاشي السمرقندي قدس الله سرّه)

قطب دائرة العارفين وبحر علم لا تنقصه كثرة الغارفين، ملك من أبكار الأنوار الذاتية أحرارها، وكشف عن أقمار الأسرار الصفاتية أسرارها، إذ مال من عهد المهد إلى الكمال وقد أوتي الحكم صبيّاً، وشمر عن ساعد الجد لتحصيل أثبل المجد لأنه لو كان العلم في الثريا وما مال إلى أهل ولا مال حتى نال من مقامات الأولياء ما نال، إلى تجليات ذاتية وعلوم غيبية وحقائق عليّة، أحيا الله به هذا الطريق فأيد أهله وأيد فضله، وجمع شمله ونظم نثار السلف الأسمى وانتظم في سلك أولى الخلافة الروحانية العظمى، وسعى وسعه في إنقاذ القلوب مما مسها في غمار الأغيار من اللغوب، إذ أصبح شمساً ترشد السالكين إلى طريق حق اليقين والإطلاع على كنوز المعارف الخفية ومخدرات الحقائق اللدنية .

ولد قدس الله سرّه في شاش سنة ست وثمانمائة في شهر رمضان، نقل أنه حصل لوالده جذبة عظيمة صرفته عن أعمال الدنيا بالكلية فصار يميل إلى الرياضة الشاقة وتقليل الطعام والمنام وترك الإختلاط مع الخواص فضلاً عن العوام، واستمر كذلك أربعة أشهر في أثنائها

حملت به أمه فسكن ما به وعاد لحاله، كانت سماء السعادة في أيام الصبا عليه ظاهرة وأنوار

الهداية في أسارير وجهه باهرة، وكان قدس الله سرّه لم يقبل حين ولد ثدي والدته حتى

طهرت

من النفاس، وكان يقول قدس الله سرّه : إني أحفظ كلاماً كنت سمعته وأنا ابن سنة .

وقال قدس الله سرّه : إني منذ كان عمري ثلاث سنوات وأنا في الحضور مع الله

تعالى

حتى كنت أذهب إلى المكتب وأقرأ عند الشيخ وقلبي معلق مع الله تعالى وكنت أحسب أن

جميع الناس كذلك . ولقد خرجت زمن الشتاء إلى الصحراء فغاصت قدماي مع النعل في

الطين

وكان الوقت شديد البرودة، فاهتممت بنزع قدمي فغفلت عن الله تعالى بهذا المقدار،

وكان ثم رجل يحرث على بقر فجعلت ألوم نفسي وأقول لها أنظري إلى هذا الحراث مع ما

هو عليه من العمل لم يغفل عن الله تعالى، ثم أرسلني خال لي من تاشكند إلى سمرقند طلباً

للعلم فكنت كلما ذهبت إلى الدرس أصابني مرض يمنعني عنه، فذكرت له حالي وإنك إن

كلفنتي بالتحصيل ربما أموت، فتوقف وقال : يا ولدي أنا لم أعلم حقيقة حالك فاذهب وافعل

ما تريد ولم أصل في القراءة إلا إلى المصباح في النحو .

وقال قدّس الله سرّه : بت أيام الطفوليّة عند ضريح الشيخ أبي بكر القفال رضي الله عنه، فرأيت في المنام سيدنا عيسى عليه السلام فأهويت إلى قدميه الشريفتين لأقبلهما، فرفع رأسي وقال : لا تحزن، فأنا أربيك . وتعبيرها عندي أن عيسى عليه السلام مظهر الإحياء وكلما من نال هذا المقام من الأولياء يقال له عيسوي، وإذا تعهدني بالتربية فلا بد أن أنال مقام إحياء القلوب . فلم ألبث أن أعطاني الله تعالى هذا المقام .

وقال قدّس سرّه : رأيت رسول الله ﷺ في البداية ليلة عند ذيل جبل عظيم، عال ومعه جمّ غفير، فأمرني أن أحمله فأصعد به الجبل فحملته إلى أعلى الجبل على عنقي فأعجبته، وقال ﷺ : إني أعلم أن لك هذه القوة غير أنني أحببت إظهارها للناس .

وقال قدّس الله سرّه : رأيت في البداية سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه، ليلة قد جاء وتصرف في باطني ثم ذهب فتبعته فلما أدركته إلتفت وقال : بارك الله بك . وكان في بداية حاله وهو في تاشكند إذا حصل قبض يخرج ويدخل من باب الدار وكلما خرج بصورة يدخل بصورة أخرى، يكرر ذلك نحو عشر مرات فيذهب قبضه . رحل قدّس الله سرّه من تاشكند إلى سمرقند فصحب بها الغوث الأكبر الشيخ نظام الدين الخاموش مدة، ثم قصد

بخارى وكان وقتئذ عمره إثنين وعشرين سنة، فصحب بها القطب الشهير الشيخ علاء الدين
الغجدواني وكان من كبار أصحاب سيدنا الشاه النقشبندى قدس الله سره . ويقول كنت في
بداية أمري على غاية من الإضطراب حتى صحبتته فتبدل الإضطراب بالتمكين، و كنت أظن
أن مراد المرید موقوف على إنتفات الشيخ فلما صحبتته قال لي : عليك بدوام الذكر والسعي
فيه فإن كل ما يصل بلا مشقة لا بقاء له، فابذل الجهد في المجاهدة وتحمل المشاق الزائدة .
ثم ذهب إلى هراة فلقى بها كبير العارفين السيد قاسم التبريزي قدس الله سره، وهو من كبار
أصحاب سيدنا الشاه

النقشبندى قدس سره يقول رضي الله عنه : صحبتت مشايخ كثيرين فلم أر أعظم حالاً منه ولا
أكبر، فإن كل ما حصلته من غيره لم أجده شيئاً بالنسبة إلى ما نلت منه، وكنت إذا رأيته أشهد
جميع الكائنات تطوف به ثم تدخل في باطنه وتتلاشى . فكنت كل يوم آتي إلى بابه ولا أدخل
عليه إلا في كل يومين أو ثلاثة مرة فكان الناس يعجبون لذلك ويقولون لي : كيف يكون قد
أذن لك بالدخول ولا تدخل ؟ ولو أنه أذن لنا لما خرجنا من عنده . وقال الشيخ قاسم
التبريزي قدس الله سره يوماً لأصحابه تمسكوا بأذيال هذا الشاب وأشار إلى الشيخ عبيد الله
أحرار قدس الله سره، فإنه أعجوبة الزمان وعن قريب يستنير العالم بنور سره وتحيا القلوب
الميتة حياة
أبدية ببركته.

قال قدس الله سره : كنت أتردد وأنا متجرد في هراة لزيارة السيد قاسم التبريزي فكان
إذا أكل الطعام يعطيني سؤره ويقول لي : يا شيخ زاده : ستصير دنياك قبابك، وكنت يومئذ
لا أملك شيئاً . وكان الأمر كما بشر وكنت أنا في هراة لأذهب إلى حمام الشيخ عبد الله
الأنصاري فأخدم الناس فيه لا أميز بين الحر والعبد، والغني والفقير في الخدمة حتى أنني
دلكت يوماً ستة عشر نفراً وما أخذت من أحد شيئاً أصلاً ، وإن سادات الخواجكان ينظرون
إلى الوقت فيعملون بمقتضاه فيشتغلون بالذكر والمراقبة، حيث لم تكن خدمة لأحد، فإذا إحتاج
مسلم

لخدمة آثروها وذلك إن الخدمة سبب لقبول القلوب وهو مقدم على الذكر والمراقبة، وظن
بعض الناس أن الإشتغال بالنوافل أولى من الخدمة وليس كذلك ، فإن نتيجة الخدمة المحبة
وميل القلوب،

لأنها جبلت على حب من أحسن إليها . ويقول سيدنا الشاه النقشبندي رضي الله عنه :
ما أخذت هذا الطريق من الكتب بل من الخدمة وهذه فائدتها ويقول كل أحد يدخل من باب
وأنا دخلت من باب الخدمة فمن أحبه أمره بالخدمة .

ثم صحب سيدنا ومولانا الشيخ يعقوب التشرخي رضي الله عنه، يقول نور الله مرقده :

لما سمعت به وأنا ذاهب إلى بخارى عزمت منصرفي منها على زيارته فوصلت إلى جغانيان فمكثت بها مريضاً عشرين يوماً وكان أهلها ينكرون على الشيخ . فصاروا يغتابونه

عندي فضعف إعتقادي به من كلامهم، ثم قلت في نفسي إنني جئت من مسافة بعيدة فلا

ينبغي أن أرجع قبل لقائه، فذهبت إليه، فالتفت إلي إلتفاتاً تاماً، ثم ذهبت في اليوم الثاني

فغضب غضباً شديداً فهمت تلويحاً أن ذلك من الإصغاء لكلام المنكرين والعزم على ترك

زيارته، فلما سكت عنه الغضب عاد إلى إلتفاته السابق وجعل يذكر سبب إجتماعه بسيدنا شاه

نقشبند رضي الله عنه ومد يده إلي وقال : بايعني، فتوقفت عن أخذها لبياض كان في جبهته

كالبرص، فلما شعر بذلك قبض يده ثم ظهر على طريقة الخلع واللبس بصورة حسنة مهابة

فزال عني إختياري، ثم مد يده وأخذ بيدي وقال : قال لي الشاه النقشبند حين بايعني يدك يدي

من أخذها فقد أخذ يدي، أنت آخذ بيد الشاه النقشبند فبايع ولا تتوقف . فبايعته ثم علمني

طريق الخواجان بالنفي والإثبات وهو المسمى بالوقوف العددي، وقال : هذا ما وصل إلي

من حضرة الشاه النقشبند وإن شئت أن تربي الطالبين بطريق الجذبة فلك الخ يار . وروى أن

بعض أصحاب الشيخ يعقوب قدس الله سره قال له : الآن لقتنه الطريق وتخيرته في تربية

السالكين . بين الجذبة والذكر، فكيف هذا ؟ فقال : هو رجل كامل لا يحتاج إلا إلى إذن فإن

الله أعطاه غاية القوة ومن أراد أن يجيء

عند الشيخ فليكن، مثل هذا فإن الأسباب فيه موفرة والمعدات مستحضرة هياً السرج والفتيلة
والزيت وترقب الكبريت .

وكان قدس الله سرّه شديد المراعاة للآداب الظاهرة والباطنة في كافة أحواله وأحيانه
خلوة وجلوة، حتى أنه لم يرى جالساً متربعاً قط، وكان إذا صادف في مشيه كلباً أو هرة
يقف متأدباً إجلالاً لمن خلقها ويفسح لها المجال بالسير حتى إذا مروا من أمامه تابع سيره .
وخرج يوماً في شدة القيظ إلى مزرعة له وسأل أحد عامليه يوماً عن عدد مزارعه، فقال :
هي أكثر من ألف وثمانمائة مزرعة . وعن عدد فدادين المزرعة التي تحت يده، فقال : ثلاثة
آلاف فدان . وما كان عند الزراع إلا خيمة واحدة فنصبت له، فقبل أن يشتد الحر خرج
فركب فرسه وقال لأصحابه اجلسوا إني أريد أن أنظر إلى الأرض وزرعها، فجعل يدور
هكذا وهكذا وإذا اشتد عليه الحر يأوي إلى بعض المغارات وربما كان رأسه في الظل
وجسده في الشمس ولم يزل كذلك حتى برد الهواء فرجع إلى أصحابه وقد علموا أنه لم
يقصد بذلك إلا راحتهم وإيثارهم .

☞ وقال قدس الله سرّه : التصوف أن تحمل أثقال الكل ولا تضع أثقالك على أحد لا

ظاهراً ولا باطناً . وقال : لا أقدر أن أسكن بلداً فيه شريف إذ لا أقدر على أداء حق

تعظيمه . فقد روي أن الإمام الأعظم رضي الله عنه قام يوماً في خلال درسه وقعد غير مرة وما علم الحاضرون ما سبب ذلك حتى سأله بعضهم، فقال : غلام من الشرفاء يلعب بين هؤلاء الأطفال فكنت كلما وقع بصري عليه أقوم إجلالاً له وإذا غاب عني أجلس .

☞ وقال قدس الله سره : قال الشيخ أبو القاسم اليركاني رضي الله عنه : إصحب من تفنى فيه أو يفنى فيك أو تفنيان كلاكما في الله لا تبقى أنت ولا هو . وقال قدس الله سره : ما دمت تشير بالهاء وهو الحروف فأنت عبد الحروف لا تنتج شيئاً فاجتهد في أن ترفع الغبار وحجب الأغيار من طريقك وتصير عبداً تذكره بلا هاء ولا واو .

☞ وقال : إن حصل لك حضور بصحبة أحد فطريق حفظه أن تجتنب ما يكرهه .

☞ وقال : ينبغي لمن أراد المجيء عند هذه الطائفة أن يجيء بالإفلاس التام ظاهراً وباطناً، لا الغنى لئلا يحرم من بركاتهم، وحاصل هذه الطريقة العلية الإقبال على الله تعالى دائماً إقبالاً لا تكلف فيه وقال إذا زال لون النقوش الكونية من مرآة المدركة فما ثم إلا الذات.

☞ وقال : جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين، وفي معنى قوله تعالى (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لِمَا كَانُوا يَكْفُونَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (غافر 16)

قال : يحتمل أن يكون المراد بالملك قلب السالك فإنه إذ تجلى الحق تعالى على قلبه

بالتجلي القهري يمحو منه الغير والسوى، فلا يبقى فيه إلا هو، فلا جرم يسمع في هذا القلب لمن الملك اليوم لله الواحد القهار .

وقد أعطى الله تعالى لسيدنا الشيخ عبيد الله أحرار قدس الله سره من تسخير الملوك له وإطاعته ما لم يعط أحد من قبل . حتى إنه قال مرة : لو أني تصدرت للمشيخة ما أبقيت لأحد من مشايخ العصر مريداً ولكن الله أمرني بأمر آخر وهو إنقاذ المسلمين من شر الظلمة وأيدي المخالفين، ولهذا خالطت السلاطين إبتغاء تسخيرهم لنفع المسلمين .

وقال أيضاً : أعطاني الحق تعالى في التصرف قوة عظيمة بحيث لو أرسلت ورقة إلى ملك الخطا وهو يدعي الألوهية لجاى حافياً بلا توقف، ومع هذا لا أتصرف في ملكه تعالى بقدر ذرة بل أفق عند حد أمره عز وجل، فإن من آداب هذا المقام أن تكون إرادتك تابعة لإرادته جلّ وعلا لا العكس .

وعزم في إحدى السنوات على أداء فريضة الحج، وأبلغ مريديه وأصحابه أنه من يستطيع أن يصبر في اليوم والليله على أكل سبع حبات من التين الجاف حتى نصل إلى بيت الله الحرام فهو في رفقتي وصحبتي، فعزم سبعمائة من الأتباع أن يصبروا على هذا

الأمر وتوجهوا بمعية الشيخ لقضاء مناسك الحج، وخلال رحلتهم الشاقة بلغوا النيل المبارك ووجدوا ماء النهر يغلي، فأمر حضرة الشيخ بعض أتباعه التحري عن السبب وإدراك حكمة الأمر، فتوجهوا إلى مكان غليان الماء فإذا بهم يرون سيدنا الإمام البوصيري رضي الله عنه واضعاً رجله في النيل المبارك ينشد مادحاً النبي ﷺ " قصيدته المضرية " وهو في حال العشق والوله والدم يسيل من عينيه من المحبة والعشق لرسول الله ﷺ والكرام الكاتيين تستغيث بالنبي ﷺ ليأمر سيدنا الإمام البوصيري بالتوقف لأنهم عاجزون عن كتابة الفضائل والحسنات التي تتال من هذه الأبيات . فحضرت روحانية النبي ﷺ وأمر للبوصيري بختم الأبيات مرحة بالكتابة الكرام، ففعل بعد أن أخذ العهد من حضرة النبي ﷺ على أن ينال نفس الفضيلة كل من يقرأها إلى يوم القيامة .

وشهد هذه الواقعة سيدنا الشيخ عبيد الله أحرار قدس الله سره . فقال : يا رحمة للعالمين : فلا تحرم أتباعي من التشرف بمشاهدة روحانيتك، فشرفهم رسول الله ﷺ بروحانيته ومرغوا وجوههم في عتبة أنوار روحانيته ﷺ ونطقوا بالشهادة بحضوره ليقبلهم ويبشرهم بدرجة الصحبة له ﷺ . فقال لهم الشيخ قدس الله سره هذا روح حجنا وحكمته ولهذا أمرنا بالحج فهنيئاً لكم .

ومن حرصه على السنة المطهرة أنه افتقد يوماً سواكه فلم يجده، فدفع إلى أحد تلاميذه قطعتين من الذهب لشراء مسواك، فقال له المرید إن ثمنه أقل من ذلك بكثير . فقال له إُدفع ليعلم أن سنة واحدة أعلى بكثير من قطعتي الذهب .

وله من كراماته العجيبة التي لا تعد ولا تحصى خوارق غريبة من إنقياد سلاطين ما وراء النهر إليه ووقوفهم أمام رحابه وإما بين يديه، وأما كشفه عن المغيبات وأخباره عن الخفيات وما أفردته العلماء بالتأليف كصاحب الرشحات فهو أجل من أن يحصر أو يحصى فالعمر يستقصر دونه ولا يستقصى .

توفي رضي الله عنه وقت العشاء ليلة السبت في أواخر شهر ربيع الأول سنة ثمانمائة وخمسة وتسعين في قرية (كمان کران) بعد أن حم تسعة وثمانين يوماً . قال بعض الأكابر وحكمة مرضه هذا المقدار إن سنه الشريف تسع وثمانون سنة، وفي الحديث الشريف «حمى كل يوم كفارة سنة»، وذكر نجله جمّ غفير من أصحابه الحاضرين أنه خرج عند نفسه الأخير من حاجبيه نور باهر طمس ضوء الشموع، وقد زلزلت سمرقند وقت صلاة الجمعة عند إشتداد مرضه فعلم الناس أن الشيخ قد آن إحتضاره، ووقت العشاء عند خروج روحه الزكية أيضاً (قد زلزلت سمرقند) . وكان قد حضر السلطان أحمد بعسكره بعد الغروب، ثم يوم السبت حملنا نعشه المبارك إلى محلة الشيخ كفشير ودفن في محوطة ملايين جمع ملا أي مدفن العلماء وبنى عليه أنجاله قبة عظيمة هي محط رحال الرحمات العميمة رضي الله

عنه وأرضاه، وكان له من الخلفاء الآلاف نخص بالذكر هنا مولانا الشيخ إسماعيل الشيرازي قدس الله سرّه كان عالماً تقياً ومرشداً ولياً قدم من بلاد داغستان لزيارة الشيخ خاصة وقد بشر سيدنا عبيد الله قدس الله سرّه أصحابه بقدم رجل مستعد فكان هو ذاك .ولما حضر مجلس الشيخ وكان أمامه سلة عنب فأمره أن يأكل منه فأخذ خصلة واحدة ورجع إلى موضعه، فنظر إليه فغاب عن نفسه وعن العالم وسقط العنب من يده وبقي زمناً طويلاً كذلك فلما أفاق شد متزره للخدمة ولزمه سفراً وحضراً، ولما توفي سيدنا عبيد الله رحل إلى مكة المكرمة وجاور في المدينة حتى لحق بالرفيق الأعلى، وذلك سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة.وقد أشار سيدنا أبي الفقراء زين العابدين الشيخ شرف الدين الداغستاني قدس الله سرّه في مخطوطاته عن سيدنا الشيخ إسماعيل الشيرازي وعن علو مقاماته وعن تنزل الملائكة عليه وهمته العالية لزرع حقائق وأسرار الطريقة النقشبندية العلية في قلوب أهل بلاد داغستان .وبلغ عدد أتباع سيدنا عبيد الله أحرار قدس الله سرّه زهاء التسعمائة ألف مرید، وأجل خلفائه وأعظمهم من رباه فأحسن تربيته ووقف على أحواله وأكمل له رياضاته وخلواته وورثه السر الأعظم وعهد له بالنفس القدسي الأقدس وأسرى إليه سر هذه النسبة الشريفة للطريقة العلية سيدنا الشيخ محمد الزاهد قدس الله أسرارهم أجمعين، آمين .

عبيد الله الأحرار

حياته المعنوية قدّس الله سرّه

سيدنا عبيد الله الأحرار بن محمود بن شهاب الدين أعلى الله تعالى درجاتهم دائماً .

ولد في قرية "شاش" يوم الخميس الثالث من شهر رمضان سنة 806 وابتقل وقت العشاء لليلة السبت في أواخر شهر ربيع الأول سنة 895 هـ . عن عمر يناهز التاسعة والثمانين ، في قرية "كمان كران" من أعمال سمرقند، وعدد خلفائه ألف وستمئة وكلهم وصلوا درجة القطبانية في حياته ، مع أنّ ولادته في شاش لكنه ينسب إلى سمرقند لإقامته فيها ، كثيراً من الأولياء يلقبونه بـ"ناصر الدين" ، قامته طويلة ، وحين يذهب إلى الجامع في أواخر عمره كان يقعد ثلاث مرات في الطريق لضعفه .

وفي كل شهر يذهب إلى الجامع مرة مخصوصة ليتصدق في ذلك اليوم بخمسة آلاف

دينار، لحيته مائلة إلى الحمرة ، صوته رقيق وكل من سمع صوته يبكي بكاءً شديداً حتى يسيل الدم ،

لونه أصفر من شدة التقوى ، عيناه سوداوان . وكان يقول من أراد رؤية

رسول الله ﷺ فلينظر إلى محمد زاهد وكان حين يحضر محمد زاهد البخاري يقوم إحتراماً له مع كونه من أتباعه حرمة وتأدباً معه .

وكان أولاده من أكابر العلماء ولكنهم لم يدخلوا في الطريقة العلية خوفاً من ترك الأدب

ووقعهم في بحارها لعظم أمرها ، وقد حصل لأولاده المال الكثير بعد وفاته وكان من

أمرء عصره وأغنيائهم .

وكان له خاصية بحيث يفتح عليه في السنة الواحدة من المواهب ويكون له في عمره

وعمر غيره مثل الشيخ خالد البغدادي وغيرهم من السادات النقشبنديين من المواهب

والمعارف والفتوحات مثل من طال عمره نحو ألف سنة أو زيادة ، لأنه جمع في تلكم السنين

القليلة ما لم يجمع غيره في السنين الكثيرة .

بدايته: حين كان في التاسعة عشر من العمر كان وحيداً فريداً في جميع العلوم العقلية والنقلية

وفي سنّ العشرين كان له الإذن المطلق في الطريقة النقشبندية العلية للإرشاد .

وفي صغره في سنّ التاسعة من عمره ذهب إلى بلدة سمرقند طالباً للعلم الشريف وبينما

كان لدى المدرّس وكان عنده علماء كثيرون أتاهم راهب ودخل عليهم ممتحناً لهم ، فقال

الراهب إن أدنتم لي أتيتكم سائلاً عن تفسير الآية [**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى**

بِرَبِّكَ وَكِيلًا] (الإسراء65) بينما نرى غالبية المسلمين في هذا البلد يشربون المسكر أي الخمر

فقال أليس لإبليس عليهم سلطان وهم مسلمون ؟ فسكت المدرّس وتوقف عن الكلام وكان

إسمه " قياس الدين " وكان سيدنا عبید الله حينها م من عین لیكون أحد الإمامین وهو لا يزال

في حداثة العمر ولكونه حافظاً للقرآن الكريم ولكل أحاديث الرسول ﷺ وكان الأعمى ، فقال

للمدرّس وللعلماء يحتمل أن يكون في الفقير يعني نفسه ما ليس للغني أي لأولئك العلماء

الأغنياء

بغزارة العلم ، فإن كان لي الإذن منكم أجيب الراهب فأذنوا له فقال له عبيد الله قدّس سرّه

" إن ذلك الذي يشرب المسكر ليس من عباد الله تعالى حيث لو بلغ مقام العبودية لا بد أن

يكون تحت سلطان الله تعالى ، ولكن الشارب ولو كان مسلماً فهو تحت سلطان نفسه وإبليس

لعدم كونه عبداً حقيقاً لله تعالى . وهذا معنى الآية لا غير ، فقال له الراهب ما الدليل

والحجة،

قال إن كنت تريد أن أبين لك كون العبد كذلك على النحو المذكور ، وكان في طرف المجلس

بائع للتفاح فذهب به لشراء التفاح وقال له عبيد الله اشتري التفاح من هذا البائع بكم من

الدراهم القليلة ، فاشتري الراهب بدراهم معدودة وبينما يعطي الدراهم للبائع وقع خواطر في

عقل الراهب وبدون شعور منه وقع منه بين تلك الدراهم إلى بائع التفاح جوهرة ثمينة لا يقل

قيمتها عن ألف وخمسمائة دينار ، ثم تباعداً منه وجلسا لأكل التفاح فلم يقدر عبيد الله مدّ يده

إلى التفاح فقال له الراهب لم لا تأكل قال لا تصل يدي إليه وإن وصلت إلى المغرب فقال

ما الحكمة قال لأنني عبد ليس لإبليس عليّ سلطان ، فقال الراهب وأي حق له في هذا التفاح

قال إن البيع والشراء ليس من السبيل المقبول عند الله تعالى فقال الراهب لأي شيء

فذهب به إلى البائع وكان البائع ولياً على قدم هود عليه السلام فقال له الراهب هل وقع في عقدنا شيء ما لا يصح به العقد ويكون له حصة الشيطان فيه ، فقال البائع نعم ، قال ماذا ؟ قال البائع جاء إليّ بين فلوسك هذا الجوهر وهذا لا يجوز ، فأدرك الراهب حينئذ الحقيقة ، وقال له البائع لا يجوز هذا لمن كان في سلطنة الله تعالى فقال لم لا يجوز قال من مخافة يوم القيامة وأهوالها فقال الراهب ما علاماتها قال تظهر لك العلامة إن ذهبت إلى بيت المقدس وإن شئت أريها لك هنا ولكن بشرط فقال الراهب أرينها قال إن في الصحيفة الخامس والعشرين من صحائف الزبور وكذا في الإنجيل مفهوم هذه الآية وكون يوم القيامة محقق ، إنزع ثيابك والبس ثيابي فلبس ثيابه ثم أعطاه منديله وأمره أن يضعه على وجهه فوضعه

ونظر فيه فرأى الراهب قد قامت القيامة وكل أهوالها ثم رأى الزبانية وكأنهم يجيئون إليه ليجرّوه إلى جهنم عندها وقع الراهب في الحيرة مغشياً عليه ، ثم دعى بائع التفاح له وقال اللهم يا رب العزة إنّي فعلت له ما أستطيع والآن أنت تعلم ما هو مستحق له ، ففي اللحظة قال الراهب

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله ﷺ ، ثم قال البائع إن شئت الخلاص تكن خادماً لهذا الولد أي عبيد الله قدّس سرّه ، وبعدها كان خادماً له ووصل إلى درجة أن يكون خليلاً له ، وهو الثالث من خلفائه .

ووقت بلوغه سن العشرين كان مأذوناً مطلقاً في الطريقة النقشبندية العلية ، حاصلًا
عنده أعلى مقام الإخلاص متمثلاً بمراقبة نفسه النفس الأخير الذي يلفظ عند الموت متحققاً
فيه فيكون دائماً محتاجاً إلى الله تعالى كما يحتاج من في النّزع ، وذاك الحال ينعكس منه
لكل من جلس عنده أي يكون فانياً في النفس المذكور ويصبح في أعلى مراتب التقوى
والإستقامة ، ونحو من سبعة آلاف رجل ممن جلسوا في مجلسه وقعوا في هذا الفناء ،
ويقول سيدنا عليّ رضي الله عنه وكرّم الله وجهه لا تكون أزيد وأبلغ المخافة يوم المحشر
من هذه المخافة في الدنيا الحاصلة
للفاني في هذا النفس المذكور ، بل تكون مثله ، وقال عبيد الله قدّس سرّه جلوسي حرام عند
من لم يكن له الإستعداد لتلك الصفة .

وكان من خصائصه أن يلقن كلمة الشهادة ثلاث مرات ثم يقرأ الآية : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] (التوبة 119) ، فينال ذلك الملقن مرتبة درجة
الصدّيقية المعتبرة عند الأولياء وإذا وقع نظره إلى شيء ما يفهم جميع حقائقه وبأي اسم من
أسماء الله تعالى يربّي ، وكيف كانت تربيته قبل البعث ، وفي هذا الزمن الحاضر موانع
كثيرة لإنتشار مثل هذه الأمور

وإن انوجد من له الأهلية والقدرة له، وكان الملوك كلهم مسخرين له حتى إنَّ السلطان
بياضات ويعرف ببياض الدين زاره سبع مرات وكان حين يقرب إلى قرية سيدنا عبيد الله
الأحرار قدس سره يخلع نعليه ويدخل حافياً .

ونذكر القليل جداً من نهاية حاله : في ذات ليلة اجتمع مع روحانية سيدنا شاه النقشبندي
قدس سره وقال له يا ولدي إنك عام لكافة الناس والمخلوقات كرسالة الرسول الأعظم ع
كافة للناس أي على قدمه ، ومثل الأذن الخاص كرسالة رسول ع خاص لقبيلة خاصة ،
وكان يتصرف في جميع المخلوقات والعوالم بجميع آلات الإرشاد فيكون توجهه لأهل
السموات ومن فيها والباقي من التوجه لأهل الأرض وما فيها فلا يبقى مخلوق إلا تحت
تصرفه وهكذا كان أمره على هذا الحال إلى أن بقي من عمره سبعة أيام عندها حضر عنده
شاه النقشبندي قدس سره وأمره بالنظر إلى الخواص من مرديه دون غيرهم.

وكان عبيد الله الأحرار قدس سره يناجي ويطلب من الله تعالى أن يرفع البلاء عن
أتباعه وتنتقل من أتباعه عليه ليخلصهم من عقوبة الميثاق ووقعهم فيها من أجل خلاصهم
منها ويقول : "يا أتباعي يا أتباعي كما يقول رسول الله ع أمتي أمتي ، ثم هتف هاتف من

قَبِلَ الرَّحْمَنُ أَنِّي حَرَمْتُ بَدَنَكَ وَأَبْدَانَ مَنْ جَلَسَ عِنْدَكَ وَلَوْ طَرْفَةَ عَيْنٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، فَعِنْدَهَا صَارَ مُسْتَرِيحاً .

وكان ذا غنى عجيب حتى إنه كان يزرع ثلاثة آلاف فدان من البرّ ، والفدان الواحد ما يبذر به مائة كيل ، وكان يبين لخواصه أسماء الملائكة الموكلين للحب ويسمعهم تسابيحهم .

وكان بعض أهل زمانه يتهمونه أنه محب للدنيا، وإذا جاءه أحد عازماً للتصدق بماله وإعطائه إلى اصحاب الخيرات والحسنات كان يأمر بإعطائه له هذا المال ليتصرف فيه حسب العهد في يوم العهد والميثاق .

ثم بعد وفاته حضر عند السلطان في سمرقند أربعة وعشرون ألف فقير عارضين حال فقرهم وبأنهم يموتون جوعاً فقال لهم سلطان سمرقند بأي شيء عشتم إلى الآن لإزدحامكم إليّ الآن جملة واحدة ما هذا ! فأجابوه قائلين يا سلطان الزمان كان يصرف لنا في كل أسبوع نصف دينار ولا نعلم من المعطي ، فلآن أنقطع ذلك عنا وصرنا كلنا جائعين ، وكان المعطي يقول :

" أوصيكم بالدعاء للمعطي إذ هو من أفقر الفقراء " ، عندها فهم الناس أنه عبيد الله الأحرار قدس سرّه وعلّموا أنه لم يكن محباً للدنيا بل هو محسن ومربّي الفقراء ، وكان يتصدق في

كل شهر بائتي عشر ألف دينار ، ولا يعلم ذلك الأمر إلا سبعة من خواص أتباعه ، وقد
أوصى

بجميع ماله بلا إبقاء ولو درهم واحد لأعقل العقلاء وهم أهل الطريقة النقشبندية العليّة ،
وأمر إلى بعض خواصه بتقسيم ذلك المال على أحسن وجه مبتدئين من المدينة المنورة ،
وحين وصى بهذه الوصية قال البعض لم يبق شيء لأولاده فقال قد تركت للعيال مالا كثيرا
وخزينة عجيبة فكون الله تعالى رزاقا يكفي لهم ولغيرهم أي تركت لهم الله تعالى ورسوله ع
وكان إذا لقيه من له الأهلية للطريقة العليّة يفنى في محبة الله تعالى فوراً .
ومن الله التوفيق .